

الكتاب الثالث: "من الحرية والجنون والإبداع" (الحلقة الرابعة)



نشرة "الإنسان" 2019/09/28

السنة الثانية عشرة - العدد: 4410

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

yehiatrakhawy@hotmail.com

- مستويات الاختيار (2)

شاعت بين الناس مقولة هاملت شكسبير "أكون أو لا أكون"؛ وكأن هذه المقولة تمثل الاختيار الأول (وربما الأول والأخير) للكائن البشرى فى عمق أزمة وجوده، وشاعت -تدعيما لذلك- المغالاة فى مقولة "تحقيق الذات" Self actualization التى تميل إلى تأكيدها مدارس وأيديولوجيات كثيرة، مثل مدرسة علم النفس الإنسانى (ماسلو مثلا)، ومع احترامنا لهذا المستوى من الاختيار إلا أنه ليس المستوى الأوحد، ولا المستوى الأعلى. إن تنوعات الاختيار فى مسألة "أكون أو لا أكون" تهتز اهتزازا شديدا فى حضور فكرة (حقيقة) "تعدد الذوات"، وحمية حضور الآخر فى الوعى "لأكون"، فضلا عن ألعاب الميكانيزمات ومناوراتها، من هنا قفزت تساؤلات أعمق مثل :

= أكون من من بين ذواتى الكثير، ثم:

= أكون أين، ومع من؟ ومتى؟، وكذلك:

= من أكون الآن، وماذا عن ذواتى الأخرى؟ وأيضا:

= هل ذاتى (هذه، أو أى أخرى) هى "أنا" أم أنها "هو"، أم أنها "لا أنا" ولا "هو"؟

ليس معنى طرح هذه التساؤلات الممتدة أن الذات المتحققة هى وهم على طول الخط، لكن المراد هو التأكيد على أن الحضور البشرى المتعدد الوعى، الدائم النبض حيويا هو كيان متغير "فى حالة تكوّن جدلى مستمر". إن الحديث عن الحرية فى حالة الإبداع خاصة، اختراقا لمغامرة الجنون، ينبغى أن يضع فى الاعتبار تجنب الاختزال بالركون إلى مثل هذه المقولات الشائعة مثل: "أكون أو لا أكون"، مهما رسخت أقدامها عبر التاريخ. الأجدر - كما سيأتى - أننى "أكون لأصير، فأكون مايمكن مما لا أعمله تحديداً ..."

وهكذا باستمرار (أنظر بعد).

نفس السؤال "أكون أو لا أكون" تختلف إجابته إذا سأله "المبدع (الشخص فى: حالة الإبداع) عنه إذا سأله العادى (الشخص فى: حالة العادية) عنه إذا سأله المجنون" (الشخص فى: حالة الجنون) (1).

فإذا لم تكن مقولة "أكون أو لا أكون" هى التعبير الأوحد، أو الأرقى عن أزمة الوجود الإنسانى، فما هى مستويات الاختيار الأخرى التى يمتحن الإنسان فيها حريته (أثناء تجلياته "العادية" و"الجنونية" و"الإبداعية")؟

شاعت بين الناس مقولة هاملت شكسبير "أكون أو لا أكون"؛ وكأن هذه المقولة تمثل الاختيار الأول (وربما الأول والأخير) للكائن البشرى فى عمق أزمة وجوده

شاعت -تدعيما لذلك- المغالاة فى مقولة "تحقيق الذات" Self actualization التى تميل إلى تأكيدها مدارس وأيديولوجيات كثيرة، مثل مدرسة علم النفس الإنسانى (ماسلو مثلا).

إن تنوعات الاختيار فى مسألة "أكون أو لا أكون" تهتز اهتزازا شديدا فى حضور فكرة (حقيقة) "تعدد الذوات"، وحمية حضور الآخر فى الوعى "لأكون

هل ذاتى (هذه، أو أى أخرى) هى "أنا" أم أنها "هو"، أم أنها "لا أنا" ولا "هو"؟

أن الحضور البشرى المتعدد الوعى، الدائم النبض حيويا هو

كحيان متغير "فهي حالة تكوّن
جدلي مستمر"

إن الحديث عن الحرية في
حالة الإبداع خاصة، اختراقا
لمغامرة الجنون، ينبغي أن
يضع في الاعتبار تجنب الاختزال
بالركون إلى مثل هذه
المقولات الشائعة مثل: "أكون
أو لا أكون"

أدنى "أكون لأصير، فأكون
ما يمكن مما لا أعمله تحديداً
..."

إذ لا يمكن مقولة "أكون أو
لا أكون" هي التعبير الأوضح،
أو الأرقى عن أزمة الوجود
الإنساني، فما هي مستويات
الاختيار الأخرى التي يمتحن
الإنسان فيها حريته (أثناء
تجلياته "العادية" و"الجنونية"
والإبداعية)؟

إن هذا السؤال "أكون أو
أصير"؟ هو أيضا ليس نهاية
المطاف، وحتى إن كان
كذلك في حالة الفرد، فهو
ليس كذلك في حالة النوع

ليس نهاية مطاف "فعل الحرية
البيولوجية والاختيار التطوري
"لأن تمّ مستوى تال يفرض
نفسه حين يصبح احتمال التغيير
شديد الغور باقى الأثر (حتى
يتمتد في الأجيال اللاحقة).

الحديث عن التهديد
بالنكوص النوعي والانقراض
في مقابل الطفرة (المستوى
الثالث للاختيار شكل-1)
مشروعاً، بل مطلوباً، إذ

الإنسان لا "يكون" بمعنى "التحقق الساكن" إلا إذا توقف عن حركة الحياة، أى وصل إلى محطة
العدم (مع اعتبار أن الخلود هو أحد أشكال العدم)،

وبالتالي فالكينونة الحية (الحيوية) هي خطوة فقط (المستوى الأول للاختيار شكل-1) نحو فعل
"السيرورة" المستمر. إنه لو كانت الكينونة هي نهاية المطاف فهي إلى سكون فعدم: سواء "بالسلبية" أو
بـ "الجمود" أو بـ "التخثر". إن الإنسان "يتكون" باستمرار، وليس فقط "يكون". هو -كما ذكرنا- "يكون
ليصير"، وليس: يكون ليكون.

يصبح السؤال (الاختيار . الحرية) التالي (المستوى الثاني شكل-1) هو "أكون أو أصير"؟

ثم إن هذا السؤال "أكون أو أصير"؟ هو أيضا ليس نهاية المطاف، وحتى إن كان كذلك في حالة
الفرد، فهو ليس كذلك في حالة النوع، وبالتالي فهو ليس نهاية مطاف "فعل الحرية البيولوجية والاختيار
التطوري" لأن تمّ مستوى تال يفرض نفسه حين يصبح احتمال التغيير شديد الغور باقى الأثر (حتى يمتد
في الأجيال اللاحقة).

هنا يصبح الحديث عن التهديد بالنكوص النوعي والانقراض في مقابل الطفرة (المستوى الثالث
لاختيار شكل-1) مشروعاً، بل مطلوباً، إذ يتصاعد مأزق الحرية إلى: "أنقرض أم أطفر"؟ (بالمعنى
الإيجابي للطفرة).

على أن المسألة ليست مستويات مضطربة متوالية بقدر ما هي دورات متكاملة ومكررة تصعيداً، ذلك
أنه بعد تحقيق طفرة نوعية في تغير الفرد (أو النوع)، تبدأ دورة جديدة من: الكينونة فالسيرورة فالطفرة،
في مقابل احتمالات العدمية، فالجمود (أو التخثر)، فالانقراض، مع المرور بالمستويات نفسها مثل الدورة
السابقة، وهكذا. (شكل-1).

هناك دائما احتمال أن يكون ناتج الاختيار سلبياً في أى مرحلة (مستوى)، وإلا فليس تمّ اختيار أصلاً.
وفي حالة ترجيح مسار التدهور فإنه قد يتمادى، حين تغذى سلبية الاختيار الأول مآل الاختيار النهائى
(الانقراض: شكل-1) كما قد تنتهى محاولة السيرورة إلى الفشل من خلال قفزة عشوائية (طفرة سلبية)
تؤدى إلى الانقراض أيضا.

إن مسألة الحرية بهذه الصورة المكثفة والمتداخلة والعميقة على مستويات متعددة، تحتاج إلى وعى
بمستويات الوجود المتصاعدة والمتدهورة من ناحية، جنباً إلى جنب مع الإحاطة بتجليات الوجود
المتقابلة. في كل مستوى، وأيضا إلى علاقة المسارات العرضية (مأزق الاختبار) والطولية (مسار
التدهور/التطور) ببعضها البعض.

- تجليات مستويات الحرية:

مما تقدم يمكن تحديد مستويات الحرية على الوجه التالي:

1. أكون أو لا أكون (تأكيد الآن)

2- أكون أو أصير (من السيرورة)

3- أنقرض (أضمحل) أو أطفر:

(= أتحول، مندفعاً إلى مجهول خطر واعد يتجاوزنى فرداً إلى احتمال تطور النوع)

صورة نشرة 2019-9-28

هذه الاختيارات تزداد صعوبة مع تدرجها، وبالتالي يتعمق مستوى الاختيار (ومعنى الحرية) فلا يعود

يقتصر على اتخاذ قرار واع معن، بل إن ذلك ينبهنا إلى أن الأرجح أن الاختيارات المتاحة هي تصعيدية تلقائية على الوجه التالي:

* اختيار المجال المناسب المهيب لاستمرار مسار اختيار ما

* ثم اختيار الحفاظ على الشروط الواجبة لتحقيق هذا المسار المختار في مرحلة ما

* ثم اختيار ما ينمي القدرة على الاختيار وإعادة الاختيار

وهكذا....

يتكرر ذلك في كل مستوى، ومرحلة، بلغات مختلفة.

المستوى الأول "أكون أو لا أكون" يقع طرفاه أقرب، ونتائجه أكثر احتمالا أي كان الاختيار، وأيا كانت النتائج سلبية أو إيجابية.

والمستوى الثاني "أكون أو أصير" يبتعد طرفاه أكثر، فيزداد الاختيار صعوبة، وتزداد النتائج خطورة، ثم إنه الأعم مشاركة ومسئولية.

أما المستوى الثالث "أنقرض (ننقرض) أو أطفر" فهو الأخرى والأكثر صعوبة وخطورة.

وتختلف معاني ودلالات هذه الاختيارات على كل المستويات حسب تجليات الوجود ما بين حالاته المتبادلة أي:

* حالة الجنون

* حالة الإبداع

* حالة العادية.

وذلك باعتبار أنها ليست مراحل دائمة ولا متعاقبة بانتظام، لكنها أقرب إلى أن تكون تجليات نابضة، صعودا وهبوطا، تلقيا وبسطا، استيعابا وتشكيلا، وبالتالي فهي تمثل أشكال وتوزيعات مراحل ممارسة الحرية على مختلف المسارات بما يترتب على كل مرحلة من نتائج، وما تتميز به من مواصفات، مع احتمالات التبادل باستمرار.

يلاحظ أيضا أن أي توقف (اختيارالجمود مثلا عند مرحلة كينونة ساكنة زائفة: "أكون جدا") هو وارد ومتواتر وخفي ومخادع في آن.

في "حالة الجنون" تتخذ الإجابة على هذه الأسئلة المطروحة في مآزق الوجود المتتابعة شكلا ومسارا يعلن في النهاية المآل السلبي المتدهور لمسيرة الجنون على الوجه التالي:

(رجاء: يُقرأ الجزء التالي تقمصا بضمير المتكلم من داخل داخلك دون أدنك):

المستوى الأول: أكون أو لا أكون:

أكون: فلاأكن مجنونا "أنا" خير من أن أكون عاقلا "لست أنا"،

هم صنعوني لهم، ولسوف أكون غير ذلك بالرغم منهم، حتى ولو كان الثمن هو الاختلاف حتى الجنون.

لكنى - بجنونى - كما حققتى (!)، (لما خيل إلى أنه حققتى)، لم أعثر إلا على عدة أنوات (جمع أنا) متصارعة متزاحمة، فأين أنا؟

رفضت أن أكون أنا من صنعهم فإذا بى لست أنا، لا من صنعهم ولا من صنعى، لست إلا سلب "أنا" (عفريته "أنا": نجاتيف "أنا") وهى الصورة العاجزة لنفس "الأنا" الذى رفضته.

يتصاعد مآزق الحرية إلى: "أنقرض أم أطفر؟" (بالمعنى الإيجابي للطرفة).

أن المسألة ليست مستويات مضطربة متوالية بقدر ما هى دورات متكاملة ومكررة تصعبا

أنه بعد تحقيق طفرة نوعية هى تغير الفرد (أو النوع)، تبدأ دورة جديدة من: الكينونة فالصيرورة فالطرفة، فى مقابل احتمالات العدمية، فالجمود (أو التثخن)، فالانفراض، مع المرور بالمستويات نفسها مثل الدورة السابقة، وهكذا

يمكن تحديد مستويات الحرية على الوجه التالي:
1. أكون أو لا أكون (تأکید الآن)
2- أكون أو أصير (من الصيرورة)
3- أنقرض (أضمحل) أو أطفر

المستوى الأول "أكون أو لا أكون" يقع طرفاه أقرب، ونتائجه أكثر احتمالا أي كان الاختيار، وأيا كانت النتائج سلبية أو إيجابية

المستوى الثانى "أكون أو أصير" يبتعد طرفاه أكثر، فيزداد الاختيار صعوبة، وتزداد النتائج خطورة، ثم إنه الأعم مشاركة ومسئولية

أما المستوى الثالث "أنقرض (ننقرض) أو أطفر" فهو

الأخفى والأكثر صعوبة
وخطورة

أن أى توقف (اختبار الجمود
مثلا عند مرحلة كينونة ساكنة
زائفة: "أكون جدا") هو
وارد ومتواتر وخفى ومخادع
فى أن

المستوى الأول: أكون أو لا
أكون:
أكون: فلأكن مجنوناً "أنا"
خير من أن أكون مجنوناً
"لست أنا".

هم صنعونى لهم، ولسوف
أكون خير ذلك بالرغم منهم،
حتى ولو كان الثمن هو
الاختلاف حتى الجنون

رفضت أن أكون أنا من
صنعهم فإذا بهى لست أنا، لا
من صنعهم ولا من صنعى،
لست إلا سلب "أنا" (عفوية
"أنا": نيجاتييف "أنا") وهى
الصورة العاجزة لنفس "الأنا"
الذى رفضته

اختيارى الذى أوهمنى أننى
اخترت أن "أكون" لم يكن
نتاجه إلا ما هو.. "لست أنا"

المستوى الثانى: أكون أو
أصير

1) مجزى أن أكون، سرقونى
بالعادية والنمطية، وحين
رفضت ذلك خدعت نفسى
فى محاولة كينونة ثبتت
زيفها، لم تحقق شيئاً، هى
"سلب لما هو "أنا".

اختيارى الذى أوهمنى أننى اخترت أن "أكون" لم يكن نتاجه إلا ما هو.. "لست أنا"
هذه "أكون" زائفة، إنها "لا أكون" تحت وهم أنى "أكون" (مختلفاً . شاذاً).

المستوى الثانى: أكون أو أصير

1) عجزت أن أكون، سرقونى بالعادية والنمطية، وحين رفضت ذلك خدعت نفسى فى محاولة كينونة
ثبت زيفها، لم تحقق شيئاً، هى "سلب لما هو "أنا"، كيف تصورت أن هذا السلب هو "أنا"، إنه نفى ما
هو أنا، وما يمكن أن أكونه، يا ليتنى اخترت ألا أكون، أو حتى استسلمت لأن أكون "مثلهم والسلام".
2) ولكن يبدو أنه طريق بلا عودة، فلا أنا قادر أن أرجع كما كنت (أرضى بعدم كينونتى "لا أكون"
فى السر، شخصاً عادياً: أتصور أنى كائن بشكل ما: "كنظام" "أكون")، لا أنا راغب فى ذلك، ولا أنا
قابل أن أوصل خداع نفسى فى أن تكون كينونتى الجديدة المجهولة الخطرة هى "أنا"، لأنها فعلاً، ليست
أنا، هى أنا زائفة مثل عفوية الصورة (نيجاتييف).

3) أرفض أن أكون "هكذا" (زيفا) فهى المغامرة نحو أن أصنع نفسى: أصير.

4) ولكن كيف؟ سوف أوصل الرفض ومحاولة التقدم وأنا أطلق "كلى" فى "كل اتجاه".

5) لكن كلى هذا ليس كلا، بل عدد من الوحدات المتماسكة جموداً، ليكن: فقد "نصير" عدداً ما من
كيانات ما تتألف إذا دام النبض.

6) لم يحدث شئ مما بدا ممكناً.

7) أكتشف أن صيرورتى التى اخترتها ليست سوى زحمة "الأنوات" وتشتت التوجه.

8) أنا فى صيرورة: لكنها صيرورة فى المحل، وقد تفرز ما يحافظ على أمل ما، لكنه ناتج إبداعى
قصير الأجل منفصل.

المستوى الثالث: أنرفض أم أظفر

1) تنازلت عن كينونتى الزائفة كى أصير، (نصير: كلى: كلنا كل ذواتى)، إلا أنه لم يحدث شئ من
ذلك، صرت إلى لا شئ، تناثرت متسخة كائى كثير، وأنا لست إلا شظايا.

2) هل يمكن أن أوقف هذه الصيرورة الكاذبة؟

بل لعل اللاكينونة (= الكينونة الزائفة = المرحلة السابقة) كانت أسّتر .

3) لا أستطيع أن أوقف صيرورة تندى،

يبدو أننى أتمادى أكثر فى طريق اللاعودة،

حسبت أنى أختار، فانخدعت.

4) لا بد أن أوقف هذا الخداع بأى ثمن، قبلت التحدى: أخلق من هذه الشظايا كيانا أسطورياً، وليكن
ما يكون، إلا أن ما كان ليس إلا مزيداً من الشطح والتناثر .

5) أهذا هو الممكن؟

أهذه هى نهاية محاولتى؟

6) لا .. بل ثمة فرصة أن أظفر لو واصلت النبض إبداعاً وتطوراً.

7) فلأظفر مندفعاً بكل هذا، حتى لو هددت اندفاعتى/ظفرتى بعدى (فهى نهايتى)، أو إعدامكم
(الهباج القاتل) أو إلى تجسيد شطحى لإصلاح الكون وخلق ضلالات ترضينى ("الإنسان الأعلى")

”المهدى المنتظر“ و”النبوة والألوهية“ كأمثلة)

يلاحظ . مكررا . أن هذه المسارات هي مجرد مثال لواحد من مساراتٍ كُتُر، لكنها لنفس التوجه:

(1) فقد يتوقف المسار مؤقتا أو دائما، أو يتكرر .

(2) وقد ينقلب إيجابيا (إلى الصيرورة فالطفرة) بالعلاج المكثف أو إبداع الذات لو لحقه قبل التماهى .

(3) وقد يسكن . فى أى مرحلة- ليتخذ مسار اختيارات ”حالة العادية“، وخاصة إذا اقتصر العلاج

على التسكين والتجميد .

.....

ونكمل الأسبوع القادم

[1] - هذا هو الكتاب الثالث باسم ”عن الحرية والجنون والإبداع“ نشرت صورته الأولى فى مجلة فصول- المجلد السادس - العدد الرابع 1986 ص(58/30) وقد تم تحديثها دون مساس بجوهرها، وهو الفصل الثالث من كتاب ”حركية الوجود وتجليات الإبداع“ الصادر من المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، والكتاب يوجد فى طبعته الأولى 2007 وهذه هى الطبعة الثانية بعد أن قُسم إلى أربع كتب أضيف إليها ما جدّ للكاتب بين الطبعتين، وهذا الكتاب هو الثالث.

[2] - حدث تعديل مهم فى صياغة الصفحتين الأخيرتين أملا فى أن تكون ماهية ”الجدل“ أوضح قليلا.

[3] - بحسب ما جاء فى الفصل الثانى من أن الناس لا ينقسمون إلى مبدع مجنون وعادى، وإنما هى حالة متبادلة لكل الناس.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD280919.pdf>

كيفه تصورته أن هذا السلب هو ”أنا“، إنه نفى ما هو أنا، وما يمكن أن أكونه، يا ليتنى اخترت ألا أكون، أو حتى استسلمت لأن أكون ”مثلهم والسلام“.

أكتشفه أن صيرورتى التى اخترتها ليست سوى زحمة ”الأنوات“ وتشتت التوجه.

تنازلت عن كينونتى الزائفة كفى أصير، (نصير: كفى: كلنا كل ذواتى)، إلا أنه لم يحدث شئ من ذلك، صرت إلى لا شئ، تباثرا متفسنا كإنى كثير، وأنا لست إلا شظايا

مؤسسة العلوم النفسية العربية

جائزة ”قتيبة شلبي“ لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2019

تتشرفه شبكة العلوم النفسية العربية بإطلاق اسم:

” البروفيسور قتيبة شلبي “

(الطب النفسي، العراق / أمريكا)

على جائزتها للعام 2019 المخصصة للأعمال العلمية فى الطب النفساني

تقديرًا لمسيرته العلمية المميزة

واعترافًا لما قدمه من خدمات جليلة للطب النفساني الشرعي على المستوى العالمي

دعوة لتقديم الترشيحات للجائزة

الترشح للجائزة من بداية من 01 جانفي 2019 الى 30 نوفمبر 2019

شروط الترشح

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2019/APNprize2019.pdf

ارتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>